إعلان " موت الإله " بين قراءتي مارتن بابر وجبرئيل مارسيل

بقلم

أ. خميسة العايب (*)



ملخص

الإلحاد عند مارسيل أو كما يسميه بالرفض ليس هو آخر ما تتوصل إليه التجربة، بل إن الشعور بالاكتفاء هو العائق الأكبر أمام مواصلة الطريق نحو الإيمان. وليس وجود الشر في العالم أو المعاناة مبررا لإعلان موت الله او القول بتخفيه واحتجابه كما يقول مارتن بابر، لأن العلة هي الهوى الشخصي، إن الرافض على الطريق مثل المؤمن السالك دوما نحو النور بإيمانه ينير الطريق لمن لا يزالون وراءه، لأن طريق الإيمان شاق ومليء بالعثرات وتنمو فيه العقبات مثلما تنمو الأشجار في الغابات العجيبة كما يقول مارسيل وهذا المؤمن هو الذي بنوره يطبق ما يريده مارسيل أن يكون عليه المؤمن كمبدأ وهو " الله يحيا من خلالي لأجلك" كما يدعو إلى ذلك في محاضراته باليابان حينما تناول مسألة العلاقة بين فلسفة الدين والأديان القائمة.

الكلمات المفتاحية: موت الإله، كسوف الإله، حضور الإله الإلحاد، الرفض، الإيمان.

مقدمة

تتفق قراءات إعلان " **موت الله** " النيتشوي حول استبعاد المعنى الحقيقي للموت والمرتبط بيولوجيا بالتوقف التام عن القيام بالوظائف الحيوية، فهذه الأخيرة مشروطة بالجسد وهو عند **أرسطو** ليس إلا مجمل الشروط التي تجعل الملكة التي تمارس وظيفة الحياة وهي الروح كصورة قادرة على القيام بوظيفتها فبمجرد أن تغادر الجسد أي تتوقف عن تحريكه، يتحول إلى جثة.

(*) باحثة في مرحلة الدكتوراه بقسم العلوم الاجتماعية ـ جامعة باتنة 1.
وأستاذ مساعد "أ" بقسم العلوم الاجتماعية ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ جامعة أم البواقي.
laib.khemissa@yahoo.fr
تاريخ الإرسال: 2018/06/10 تاريخ القبول: 2018/07/01

وباستبعاد الموت كموضوع للتفسير فإن ما يتبقى هو الموت كموضوع للتأويل، لأن الذي يتعرض للموت هنا هو موجودا أبديا منزها عن الجسد القابل للتهدم والزوال، فيصير الموت كناية ولا يقبل إلا بمعناه المجازي. وفي المجاز يطلق لفظ ميت على مدينة لا نشاط فيها أو على خطاب بارد فقد نار الحياة أو على مياه راكدة ، كما يطلق لفظ ميت أيضا حسب احد أعلام الرواقية على كل تغير، فكل تغير موت كذلك التغيرات في مراحل الحياة من الطفولة إلى المراهقة والشباب ثم الشيخوخة.

فبعد كل موت كنهاية بداية جديدة، أي هناك مرور- إن شئنا أن نتحدث هنا بلغة الإثنوغرافي الفرنسي **فون غنيب** van guennip * (1873 - 1957) في تحليله لطقوس الانتقال- من مرحلة حياة إلى مرحلة حياة أخرى،أو الانتقال من الحياة إلى الموت. مع ارتباط كل انتقال بمعاناة وجودية كمعيش شخصي يعرفه المنتقل، بما في ذلك الانتقال من الإلحاد إلى الإيمان أو من الإيمان إلى الإلحاد. تخص الحالة الأولى **نيتشه** وتخص الثانية **مارتن بابر**** martin buber (1878-1965) و**جبرئيل مارسيل***** Gabriel Marcel (1889-1973) على سبيل الذكر لا الحصر. ودون أن يكون المعيش الشخصي حالة ذاتية منفصلة عن وقائعية الفكر بكل ما فيها من أسباب الإيمان أو أسباب اليأس، فإن هذه الأخيرة قد تنتهي بصاحبها إلى إعلان موت الله مثلما فعل ذلك **فريديك نيتشه** ****Friedrich Nietzsche (1844-1900). ومن هنا نطرح الإشكالية التالية : كيف يقرأ **مارتن بابر** و **جبرئيل مارسيل** إعلان موت الإله النتشوي ؟

من إعلان موت الإله أو احتجابه إلى الشهادة على حضوره

إن القول بالغياب النهائي للعناية الالهية سيقابله **مارتن بابر** بالقول بالاحتجاب ويقابله **جبرئيل مارسيل** بالقول **بالحضور الإلهي** السر رغم الرفض ، فاحصا بذلك الأسباب النفسية التي تحول دون معرفة هذا الحضور. هنا تتراوح الأطروحات الثلاث بين اليأس من الحضور والتفاؤل رغم الاحتجاب مع الإيمان باستحالة **الغياب الإلهي**. وقبل عرض هذه الأطروحات أشير إلى أن كلمة éclipse الفرنسية المستعملة فيها، من الكلمة اللاتينية eclipttaus والكلمةالإغريقية

---

* فون غنيب: إثنولوجي وأخصائي في الفلكلور، فرنسي من أصول ألمانية، صنع شهرته بالخصوص كتابه عن طقوس الانتقال، يقال أن دون أعماله المنهجية ما كان للإثنولوجيا الفرنسية أن توجد.

** مارتن بابر : فيلسوف إسرائيلي تأثر بفكر هارمن كوهن في لقاء الآخر و كان له تأثيرا على فكر إيمانويل لوفيناس.

*** جبرئيل مارسيل: فيلسوف وجودي فرنسي، كاثولكي العقيدة، كاتب درامي وناقد مسرحي، و موسيقار

**** فريديريك نيتشه: فيلسوف وشاعر وموسيقار وفقيه لغة ألماني، ساءل الكثير من مجالات الفلسفة و معظم القيم المرتبطة بالمجتمعات الحديثة.رفض رد الأخلاق إلى قيم مطلقة ذات أصل متعالي عن الإنسان.

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

ecleipsis التي تعني الترك. وفي المجاز تعني الضياع، الفقدان أو الغياب. ويعني الفعل s’éclipser فقدان المجد أو سقوط الشهرة أو تقهقر السمعة[1]. ويطلق هذا اللفظ في علم الفلك على كل كوكب منير، حينما يصير بالنسبة لنا غير مرئي جزئيا أو كليا رغم وجوده في وضعية تسمح برؤيته وسطوع نوره لولا توسط كوكب آخر بين عين الناظر والكوكب المنير وبالتالي فإنه سواء أكان الاحتجاب تاما أم جزئيا فإن كلمة éclipse لا ترادف انعدام مصدر النور .

1- إعلان موت الإله :

نقرا بالخصوص في كتاب "المعرفة المرحة" للفيلسوف الألماني الشهير فريديريك وهو يعلن موت الله حدثا جديدا، ومن أكبر الأحداث التي عرفتها أوروبا المسيحية، بعد أن كانت هذه العقيدة ركيزة لكل شيء[2].إنها ركيزة الحياة بالمعنى الشامل لهذه الكلمة بل هي الحياة ، لأن في المسيحية كل حياة خارج المسيح موت أي أن الحياة بالخطيئة الأولى، حياة لا تستحق اسمها، فالمسيح (الإله -الإنسان) تجسد ومات لأجل أن تحيى البشرية في سلام وسعادة. فلا سعادة ولا سلام ولا سكينة نفس إلا به كما يقول أوغسطين في أولى صفحات كتابه "الاعترافات" . لكن فكرة أن الشعور بالسكينة يحققه الإيمان، تراجعت عند نيتشه، مثلما يكتب ذلك في مراسلته لأخته، فلم يعد المسيح هو المركز لأن المركز قد انمحى فتبعثر نظام كل ما حوله. فبغياب مصدر النور كل شيء صار معتما وبسقوط القاعدة كل ما أنبنى عليها تهدم. وحينما يكون هذا المركز وهذا النور، أو هذه القاعدة هي الله فان العتمة تصير رهيبة والانهيار يكون مرعبا،إنه انهيار العوالم والقيم القديمة التي قامت عليها الأفلاطونية والعقيدة المسيحية. وسيبادر نيتشه إلى محاولة التهدئة من هذا الرعب بالدعوة إلى الإنسان الأعلى في إرادة القوة .

فقد جاء تجسد المسيح، كما أعلن ذلك القديس يوحنا وآباء الكنسية الأوائل، استجابة لرغبة الإنسان القوية الطويلة عبر الزمن، لأن يصبح مثل الآلهة قويا وكاملا ومتعاليا مثلها.فالرحمة الإلهية أشفقت على البشرية المتعبة وحققت لها طموحها كهبة إلهية لاستعادة الطبيعة الأصلية، طبيعة الصفاء المفقودة بالخطيئة عن طريق الوسيط الإلهي مخلصا مثلما نقرأ ذلك مثلا في كتابات **القديس بولس** * saint paul (حوالي 8 ق.م-حوالي 67 م) **وجون سكوت الإرجيني** jean Scots

[1] Pierre Larousse, nouveaux petit Larousse, Paris : librairie Larousse, 1970, p. P.534.

[2] Nietzsche, le Gai savoir, Paris : Gallimard, 1967, P.247.

* القديس بولس من آباء الكنيسة الأوائل صاحب 13 رسالة لمختلف الأقوام يدعو فيها إلى المسيحية يوضح معتقداتها

** Origène (185-253) .

يعد الخلاص عند **نيتشه** -كما تقول واحدة من قراء نيتشه وهي باربرا استيغلر في كتابها عن **نيتشه** - هو التحرر من هذا الاعتقاد ذاته ودون وسيط غير وساطة الإرادة البشرية الحرة، لأنه ليس تحررا من خطيئة أثقل الشعور بها كاهل الإنسان وإنما هو تحرر من مشرع مطلق حال دون أن يكون الإنسان قويا وسيد قيمه ومصيره وتتساءل حول كيفية فهم الإعلان الشهير"**لقد مات الله**" فتقول : « هل يجب أن نفهم منه أن فكر نيتشه هو فكر دون إله، أم يجب أن نفهم منه موت إله العهد القديم والجديد فقط، أم أن حتى ألوهية ديونيسوس قد أفرغت من معناها وبالتالي كل الآلهة »[1]

وهنا يكون الموت ضروريا لبداية جديدة، مثلما في التضحية بالوسيط المتجسد في المسيحية أي موت الخطيئة الذي كان ضروريا لميلاد الإنسان الجديد. ومثلما هو أيضا موت الله عند نيتشه لازما للإنسان الأعلى، لأن الإله موضوع العبادة، السعادة،الخشية والرجاء مع توقف الإيمان به صار شبحا.[2]

2- مارتن بابر واحتجاب الله :

في كتابه "كسوف الله" وبعد أن يؤكد مارتن بابر على أن حقيقة أية حقبة زمنية أو وجهها الحقيقي كما يقول: يعرف بالعلاقة السائدة فيها بين الدين والواقع[3] يذهب إلى أن عبارة موت الله النيتشوية تلخص الحالة الذهنية التي كانت تسود في نهاية ذلك القرن. وبعد أن يعرض قراءة **مارتن هيدجر** ***لموت الله ويوافق على تأويله لقتل الله بالقول أن الإنسان المعاصر جرد فكرة الله من كيانها الموضوعي وربطها بالذاتية وقام بإخلاء فكرة العالم فوق الطبيعي،أي أفرغها من المعنى[4]، يقدم هيدجر تعليقه هذا في نص بعنوان "كلمة نيتشه" "موت الله". فيصل مارتن بابر بعد الموافقة على هذا التعليق إلى أن الوقت الذي يعيشه يميزه كسوف النور السماوي أو كسوف الله. لكن هذا الأمر

ويدافع عنها.سميت ب "رسائل القديس بولس".

** جون سكوت الإرجيني: من أباء الكنيسة الأوائل لاهوتي وفيلسوف مسيحي .أبرز وجود مدرسة الإسكندرية، واستخدم الأفلاطونية في تقسيمه للطبيعة إلى أربعة أقسام مستخدما لبيان توافق المسيحية مع العقل الإغريقي.

[1] Barbara Stigler, Nietzsche et la critique de la chair, Paris : PUF, 2005, p.263.

[2] Op.cit. p. 496.

[3] Martin Buber, l'éclipse de dieu, Paris : nouvelles éditions, 1987, P.15.

*** مارتن هيدجر: فيلسوف ألماني تلميذ هوسرل والفينومينولوجيا منهج يربط بين معرفة ماهية الأشياء والوعي، انشغل بالمسالة الانطولوجية.

[4] Martin Heidegger chemins qui ne mènent nulle part, Paris, Gallimard, 1962, p.178-179.

لا يكفي تحديده بمجرد التحولات الحادثة في فكر الإنسان وحده. فإذا كانت الشمس كما يقول قد أعتمت فإن شيئا ما كما يقول قد حل بينها وبين العين الناظرة إليها، فهذه الأخيرة ليست مسؤولة[1] عن عدم الرؤية.

وهنا يعود **مارتن بابر** ليطبق معنى **الكسوف الطبيعي** على **كسوف الله** مثل الكسوف في علم الفلك الذي تسبب فيه حواجز بين المصدر المنير والمتلقي للنور وهو مثله أيضا من حيث عدم الدوام، لأنه لا يوجد اختفاء نهائي في النور وأن ما تموقع بين النور والناظر إليه سيتم التغلب عليه وزحزحته[2] وهذا التصور هو ما يجعل **مارتن بابر** يوصف بالتفاؤل على خلاف **نيتشيه**.

وكان روبير مسرهيه في كتابه "**مارتن بابر**" قد لخص مجهود هذا الأخير في أنه يتمثل في دفع تدريجي لكلمة " موت " لإحلال كلمة " كسوف" بدلها، مع أمل عودة النور القديم[3] وهذا الأمل مشروط بالتفتح على **الحضور الإلهي** ولقاء الله، الذي لا ينفصل عن لقاء الشخص البشري بغيره من البشر كأشخاص في حضور وحوار مستمر، فلا بد من الحضور لاستشعار الحضور الإلهي خاصة أن فعل الإيمان ليس فعلا ذاتيا إنه فعل لقاء فالصلاة في جوهرها مقابلة مع الله وبغض النظر عن محتواها، فهي طريقة في توسل تجلي حضوره، والحوار معه [4].

إن **صمت العناية الإلهية** عن التدخل في أشد المواقف درامية، كتلك التي عاشها اليهود جراء تعذيب النازية لهم والتي حسب رأيهم رمزا لوجود الشر على الأرض ورمز للمعاناة البشرية، لا يعني توقف هذه العناية، رغم أن فهم هذا الأمر الإيمان به قد يستحيل أمام بشاعة التعذيب والصمت الإلهي في المقابل. هذا الصمت الذي لم يطقه اليهودي الناجي من المحرقة النازية **إليه فييزال** Elie Wiesel* (1928-1944) الذي عاش هذا النمط من التعذيب في المحتشدات النازية، إنه صمت إله العصور الوسطى القوي. كامل القدرة والإرادة، مطلق العناية والرحمة. وسأعود إلى هذه الشخصية التي تأثرت بمارتن بابر في رفضها القول بموت الله والقول بالصمت

[1] Ibid., p. 25-26.

[2] Ibid., p. 120.

[3] Robert misrahi, Martin Buber, Paris: Seghers. 1968, P. 70.

[4] Martin Buber, l'éclipse de dieu, Op.cit, p. 116.117.

* إليه فييزال: إليه ويسل : كاتب يهودي أمريكي وأستاذ وسياسي، حضر الهولكوست وحظي بجائزة نوبل للسلام 1968.

الإلهي دون الموت، ودون الاحتجاب على خلاف بابر القائل بالكسوف. وقبل هذه العودة أريد الإشارة إلى أن هذا الصمت في التوراة مرتبط ببنية كل ابتلاء أو اختبار إلهي، حيث نقرأ عن هذا الاحتجاب أي عن ابتعاد الأبدي وتخفيه أثناء المحن حيث يشتكي الممتحن الله الصامت المبتعد للإله ذي القدرة والكلمة المطلقة والعناية الكاملة.[1]

وتعترف العقيدة المسيحية مثل اليهودية بأن هذا الصمت لا يمر على المؤمن دون معاناة ففي انتظار أن يصلح هذا الانطفاء ويكف هذا الصمت فإن التوتر كما يقول اندريه نهنر كبير جدا، فبتعليق النور يخلق التردد والريبة[2] التي ذهبت بمن تمكنت منهم إلى أن تتراوح مواقفهم بين القول بموت الله والقول بصمته وتخفيه دون الموت.

فإلي فيزال كان منشغلا كما يقول « منذ رشده بمحاولة التوفيق بين وجود الله وماهيته ووجود الشر في العالم، بين الله والقسوة أو بين الله وقوة الرعب وكان يتساءل: ما هذا الإله المتفرج غير المبالي؟ وكيف يتسنى للمؤمن أن يعيش أمام اختفاء وجه الله ومع تمسكه بالتحديق؟ وكيف نفسر غيابه الظاهر وإرادة بقائه مبتعدا؟ وهل مارتن بابر محقا وهو يتكلم عن كسوف الله» [3]؟

ويأتي رده من خلال الإجابة عن سؤال في إحدى المقابلات معه، حول موقفه من القول بالكسوف البابري إذ يقول « لقد تفاجأت لهذا الموقف» [4] كما يتضح موقفه في مؤلف آخر حيث يرفض فيه القول بالموت أو الغياب قائلا بالحضور والصمت الإلهي. إن الله عنده لا يزال حيا رغم مظاهر الاقتراب من الموت، تماما مثل ذلك الشاب اليهودي الذي بقي حيا وهو معلق على المشنقة، لسانه لا يزال أحمر وعيناه لم ينطفئ بعد نورهما. هكذا رد إلي فيزال على الشخص الذي سأله لحظة عنف ودراما مشهد التعذيب أين الله؟ أين الرحمة والعناية الإلهية»[5] لقد رفض فيزال هذا الصمت وقد طال به انتظار الرد الإلهي الذي لم يأت، فاخترق أمرا إلهيا بالصوم ذلك اليوم فأفطر مناهضة لذلك الصمت،أي على عدم تدخل العناية الإلهية، فعل هذا كما يقول بعد أن شعر بفراغ وبيأس

[1] La sainte bible, volume 1 à 2, Paris : 1923, p. 448.

[2] André Nehner, L'exile de la parole, Paris : seuil, 1970, P. 28.

[3] Elie Wiesel, la nuit, Paris : minuit, 2001, P. 212.

[4] Philipe Michael de saint Cheron, le mal et l'exil : rencontre avec Elie Wiesel, Paris: nouvelle cité, P.235.

[5] Op.cit., p.213.

كبيرين في قلبه [1].

ويتناول **إلي فيزال** أيضا مسألة الصمت أمام أحداث، يقال عنها أن اللغة البشرية غير قادرة على وصفها ولا الرواية عنها، لأن الصمت في مثل هذه الأحوال لغة في حد ذاته. لكن حسب إليه فيزال الصمت ليس مخلصا دوما ولا خلاقا بل قد يتحول إلى وسيلة قتل وموت، فشتانا كما يقول بين ذلك الصمت المفعم بالقوة والمعنى وصمت الضعف والهزل. ويدعو إلى عدم الصمت، إلى ضرورة الكلام لإثارة الرد الإلهي فدعاء الله لا يجب أن يتوقف، أي لا يجب على اليهودي أن يصمت بل أن يتكلم ويفعل حتى لا يسمح لله أن يصمت، لابد إذن من الرد بالكلمة البشرية على الصمت الإلهي.[2]

ومثل **مارتن بابر** يذهب **ايفيس بونيفوي** yves bonnefoy (1923-2016) إلى تحميل الإنسان مسؤولية هذا الكسوف الذي أنتج ضياع القيم والمعالم وانتصار الشعور باللامعقول على كل الآمال[3] .إن المؤمن مدعو حسب إيميل فكنهايم Emile fackeinheim (1916- 2003) إلى أن يفهم الحضور الإلهي من خلال هذه التناقضات التي يصفها بالجدلية[4] والتي تثير مسألة علاقة الإيمان بالأحداث المأساوية.

3- جبرئيل مارسيل وسر الحضور الإلهي :

يعد **جبرئيل مارسيل** معلن موت الإله فيلسوفا راهنا أكثر من غيره من الفلاسفة وهو يتحدث عن موت الإله وقتله من طرف البشر، فحسب مارسيل هذا الإعلان وما ارتبط به من عبارات وأفكار سواء كتاب المعرفة المرحة أو في كتاب إرادة القوة. وحتى في "هكذا تكلم زرادشت" لا يقصد بها موت الوسيط أو الجسر، إلى السماء الذي تحدث عنه أباء الكنيسة ولا هو إعلان ذا صدى شخصي محض رغم وجود هذا الصدى، إذ أن نيتشه كان مؤمنا فكان الله حيا بالنسبة له في شبابه حدث أن زال ذلك الشعور بالرهبة المقدسة أو انسحب الله من قلبه. لكن ما يريده **نيتشه** هو أن الحدث ليس شخصيا ولا ذاتيا، بل شاملا تسبب فيه الإنسان وهذا الأخير يعترف بمسؤوليته اتجاه

---

[1] Elie Wiesel, contre la mélancolie, Paris : seuil. 1988, P. 104-105.

[2] Ibid., p. 108.

[3] Elie Wiesel, D'où viens-tu ? Paris : seuil. 1958, p. 209-210.

[4] Yve s bonne foy , l'improbable et autre essai. Paris : Gallimard. 1981, p. 209-210.

قتله اعتراف يكون في النهاية هو بداية وشرط ميلاد الإنسان الأعلى. ويؤكد مارسيل مع نيتشه أنه على مستوى القيم نفهم أفضل ما يعنيه موت الله،هذا ما يكتبه مارسيل في "الإنسان الإشكالي"[1]. وكان **جبرئيل مارسيل** في محاضرته باليابان عام1957، قد تساءل عن الموقف الذي يجب اتخاذه من موت الله، وممن أصبح بالنسبة لهم ذلك حقيقة.

وفي كتابه "الإنسانية ضد الإنساني"، يضيف مارسيل أن المذهب الإنساني ذو الأصول النيتشوية، يريد أن يحول للإنسان الصفات التي كانت دوما صفات إله أعلن عن وفاته. وبوفاة الله تتفكك فكرة الإنسان الذي يتقلص إلى مجموع إمكاناته وترتبط بها ماهيته، بعد أن كان الإنسان صورة الله في المسيحية . هذه الحالة الراهنة التي يعرفها العالم هي حالة أزمة قيم، قاصدا بقوله هذا، ذلك الوجع الروحي الرهيب الذي تعاني منه البشرية، أي ذلك التغير الكامل في الأفق الروحي.[2]

يرى مارسيل أن فكرا فلسفيا يستبعد الآلهة من حياة البشر، ويقول بتعاليها أو عدم انشغالها بدراما الوجود البشري هو فكر يريد أن يحل الإنسان محل الآلهة المستبعدة ويكون هو المركز فيفقد الإنسان كل إنسانيته ويجرده من الحضور وهو يريد أن يقيم نفسه بديلا عن الله.[3]

ويعد الروائي الفرنسي **أندريه مالرو** * André malreaux (1901- 1976) واحدا من هؤلاء حسب مارسيل لأن فكره ذو أصول نيتشوية وهو يصرح قائلا عن هذا العالم : "لا اله فيه ولا مخلص"[4]. مثل هذا التصريح يسميه جبرئيل مارسيل **الرفض**، إنه رفض حر لحقيقة شهدها الإنسان بحرية. وتختلف عنده الشهادة في المجال الروحي عن الشهادة في عالم المشكلات، فهذه الأخيرة قائمة على السببية والضرورة أما الأولى فأساسها الحرية وتحتاج إلى **شاهد** متواضع ليعترف بحقيقتها. وهذا ما يميز الإيمان، إنه تواضع الشاهد أمام قوة موضوع الشهادة. لكن التكبر قد يحول دون ذلك، وبالتالي فان الرفض ممكنا تماما مثلما هو ممكننا التناقض والخطأ والخيانة. ويضيف أن الطريق إلى الإيمان ليس منطقيا أما النزعات الشكية والمذاهب المادية فتريده كذلك لزعزعته بالحجج الحسية والعقلية، ثم إنه من غير الممكن تشبيه من يثبت وجود الله بالإنسان الذي يظن أن

---

[1] Emile fackenheim , Penser après Auschwitz, 1986, P. 44

[2] Gabriel Marcel, L'homme problématique, Paris : laballery, 1998, p. 38.

[3] Gabriel Marcel, Les hommes contre l'humain, Paris : vieux colombier, 1951, p. 110-111.

* أندريه مالرو كاتب روائي ومفكر ورجل سياسة فرنسي.

[4] André Malraux ,la condition humaine, Paris : imprimerie national, 1946, P. 45.

شيئا ما موجود وهو غير موجود، لأن التشبيه غير مناسب، ففي حالة الشك في وجود شيء ما يكفي أن يعوض الناظر الأول بناظر نظره أسلم ليرى أحسن حقيقة الأمر القابل للتحقيق،أما في حالة الإيمان بوجود الله فلا يمكن أن يحل الرافض محل المؤمن وينفي وجوده ، فالإيمان يتطلب التجربة ويتجاوزها بما هو غير قابل للتحقيق ولا لإبداء الرأي.

تعد تجربة الإيمان عند مارسيل **سرا** يعيشه المؤمن والشعور به مختلف تماما عند مارسيل عما يريد علم النفس الديني[1] تحديده به: انه ليس شعورا مفردا إلى جانب مشاعر أخرى مفردة كما يذهب علماء النفس، بل يذهب البعض منهم إلى نفي وجود شعور يسمى دينيا، ويكتفي البعض بتحديد العناصر التي ينشأ منها كالشعور بالخوف أمام مظاهر الطبيعة مثلما قال **ماكس ميلر*** max muller (1900 -1823) -ألبرت انشتاين albert einstein (1925- 1951) **وبرتراند راسل** russel Bertrand (1872- 1970) هذا الأخير الذي يرى أن **التدين** حل للتهدئة من روع الإنسان وخوفه من إمكانات الطبيعة التي قد تصل إلى حد القضاء عليه[2]. ومثله يذهب البيولوجي وفيلسوف العلوم الفرنسي **فليكس الكسندر لودونتيك** felix-Alexandre Ledantec (1869 -1917) الذي يعتبره مارسيل نموذج المادية الإلحادية في كتابه "الإلحاد". ففي هذا الكتاب يرى أن التدين ليس أكثر من موروث اجتماعي مثله مثل بقية العادات،والتقاليد واللغة ويعلل وجوده في المجتمعات القديمة بالخوف ويصل إلى القول: « الإلحاد يعالج هذا الخوف»[3]. مثلما فعلت **الأبيقورية** ملحدة بانشغال الآلهة بإيجاد العالم أو بمصيره أو بشؤون البشر. وليس الإلحاد قرارا حرا حسب **لودونتيك** ولا هو مرتبط بعلل شخصية بل بضرورة واقعية ناتجة عن التصور العلمي واعتبار الحقيقة الوضعية معيارا لكل حقيقة فيقول: « أكون ملحدا مثلما أكون أسمر البشرة أو أشقر دون أن أريد ذلك»[4] . لقد اعتبر كان **إيميل دوركايم** قد اعتبر الشعور موضوعا للعلم[5]، بما في ذلك الشعور الديني المتجلي في السلوك الجمعي، من خلال الأفعال الطقوسية.

---

[1] Gabriel marcel, Etre et avoir. Belgique : éditions universitaires. 1991, p. 133.

* ماكس مولر: مستشرق ألماني ومختص في مقارنة اللغات،علم الأساطير والأديان، يعد واحد من بين المؤسسين للدراسات الندية و الميثولوجيا المقارنة .

[2] Bertrand Russel, Ma conception du monde, Paris : Gallimard, 1961, p. 26.27.

[3] Félix Alexandre Le Dantec , l'athéisme, Paris : Flammarion. 1926, p. 108.

[4] ibid., P.153.

[5] Emile Durkheim, les règles de la méthode scientifique, 23ed, Paris : PUF, 1987, p. 34.

وبه يتأثر **مارسيل موس** ** Marcel Mauss (1872- 1950) فينفي أن يكون الشعور الديني مختلفا عن بقية أنواع الشعور،كشعور بالحضور الإلهي وأن تمييزه عنها يجعلنا نقع في الميتافريقا. فالمشاعر عند **موس** لا تسمي دينية وليس لنا أن نتحدث عن شعور يسمى ديني[1] انه عند **ريبو** حادث علينا فقط بيان أصله وتتبع مظاهره الخارجية حيث يقول عن الشعور الديني : " انه انفعال كامل بكل ما يواكبه من التجليات الفيزيولوجية "[2].

ليس الإيمان عند جبرئيل مارسيل حالة نفسية مثل بقية الحالات الداخلية لأنه مختلف واختلافه يجعل من تجربة الإيمان مختلفة تماما عن التجارب الأخرى وهنا يتفق مارسيل مع **شلاير ماخر*** (1768-1834) و**هنري برغسون**** Henri Bergson (1907- 1941) ووليام جيمس ويتأثر به **رودولف أوتو***** rudolf otto (1869- 1937) في كتابه"المقدس" وهو يعرف التجربة الدينية وموضع الدين بأنه " المختلف تماما".[3]

إن الشعور الديني هو شعور بالضعف لا بسبب الإكراه بل هو ضعف مرتبط بالتواضع أمام قوة موضوع الإيمان وبكل حرية ، انه استجابة – عند مارسيل- لنداء عميق بداخل الإنسان وتلبية لدعوة صامتة تمارس علينا ضغطا يستطيع الإنسان مقاومته بإرادته، هذه المقاومة هي الرفض وهو ناتج عن الغفلة وعدم القدرة على الإصغاء لهذا النداء الداخلي ويرجع عدم القدرة على الإصغاء والغفلة عنه إلى خصوصية الحياة الحديثة التي تسيطر عليها التقنية ،السببية ،التحقيق والوظيفة فتصبح الحياة آلية وروتينا بما في ذلك الحياة الدينية ، ولكن الاستفاقة غير مستحيلة وقد تحدث في

** مارسيل موس: أنثروبولوجي فرنسي يعد أبو الأنثروبولوجيا الفرنسية تلميذ دوركايم ذو مكانة أصيلة في مجال علم الاجتماع أيضا. يعود إليه الفضل في إدخال الأثنولوجيا ضمن الدراسات الجامعية.

[1] Marcel Mauss, Ouvres 1, volume 2, Paris: minuit, 1969, P.39.

[2] Théodule Ribot, La psychologie des sentiments, Paris : Alcan, 1925, P. 324.

* شلاير ماخر: لاهوتي بروتستانتي وفيلسوف ألماني عرف بترجماته لأفلاطون، وبنظريته في فلسفة الدين التي يربطها بالحدس. وتفوق كل نزعة وثوقية، وكل اتجاه أخلاقي.

** هنري برغسون: فيلسوف فرنسي جمع بين خلق المفاهيم(الديمومة) و مشكلة المكان،بين مطالب العلم و مطالب الفلسفة و الدين او بين المهمة النظرية و المهمة العملية للفلسفة.

*** رودولف أوتو: لاهوتي لوثري و فيلسوف دين ألماني ربط التجربة الدينية بالحدس.بعد شلاير ماخر ثري جدا في فلسفة الدين، المقدس عنده في صميم التجربة الدينية . وليس المقدس فقط هو الديني بل الشعور بالسر كشعور يسمح بتجلي القوى السيكولوجية اللاواعية المختلطة في تركيبة خاصة مشكلة من العقلاني واللاعقلاني.

[3] Rudolf Otto, le sacré, Paris, Payot, 1965, p.47.

أية لحظة إذا ما التقى الغافل مع من يشبع فيه هذا الإيمان، بعد إبعاد الأحكام المسبقة والصور المشوشة لحياته الروحية، فيكتشف أنه ليس فقط عاجزا عن إثبات إلحاده وأن التكبر هو ما كان يمنعه من الشهادة بل انه كان لا يريد أن يؤمن[1].

ويجد **جبرئيل مارسيل** من **أندريه مالرو** مثالا مناسبا لإرادة الرفض في كتابه " الوضعية البشرية" حين يبلغ اليأس والشعور بالترك قمته بإحدى شخصياته، فتطلب الموت بوصفه : " أهون من البقاء في الوحدة"[2] وفي كتابه الأمل تقول شخصية أخرى : " الإنسان في الظلام العدو وفي تهديد الوحدة لا وجود لأي نور وكل سقطة تكون قاتلة "[3].

والأمر نفسه يقول به لودونتيك في رفضه يذهب إلى إثبات حقيقة الإلحاد ووهم الإيمان من خلال وجود الملحدين ففي نظرة أدلة وجود الله لا يمكنها أبدا أن تجعله مؤمنا وهي لا يقبلها إلا المتدين الذي يستعملها وهي لا تفعل أكثر من إثبات أنهم مؤمنين. فمادام هناك الحاد في نظره فهذا يدل على أن أدلة وجود الله فقدت قيمتها وكأن لودونتيك هذا البيولوجي الفرنسي قد ذهبت به نزعته العلمية التي تؤمن يروح كلية الحقائق، إلى أن يطلب من أدلة الإيمان أن تحقق هذا الطابع الشمولي بل وأكثر من نفي الإيمان لم ير في الإنسان سوى كائنا بيولوجيا تنتفي عنه الإرادة والمسؤولية في خضوعه للحتمية مثل بقية الحيوانات وينطبق القول بالحتمية على ظاهرة الإلحاد ويسقط بذلك الإيمان بالخطيئة الأولى. وأمام هذه الحياة تصبح تجربة حياة الفنان، التي يعدها الروائي الفرنسي **مارسيل بروست** marcel proust (1871- 1922) الحياة الأمثل، مجرد تجربة قبل إيمانية، مثل الأفعال الإبداعية التي ينشدها **أندريه مالرو** andré malreau (1901-1976) كعلاج للقلق والوحدة.[4]

فالحياة التي تستحق اسم الحياة هي الحياة الفنية ولا مطلق غير الجمال، غير العمل الفني وهذا على خلاف ترتيب **سورين كيركجارد** Soren Kierkegaard (1813- 1855) لمدارج

[1] Théodule Ribot, La psychologie des sentiments, Paris : Alcan, 1925, P. 324.

[2] Gabriel Marcel, Etre et avoir., p. 10.

[3] ibid., P. 154.

[4] André Malraux, la condition humaine, (op.cit) p. 246. André Malraux (voir aussi La voie royale, Paris : Grasset, 1968, p. 188. André Malraux, La voie royale, Paris : Grasset, 1968, p. 188).

الحياة حيث يقول **بروست** « الحياة الحقيقية،الحياة التي نعيشها كاملة هي الأدب،هذه الحياة تسكننا جميعا كما يعيشها الفنان ولكن الناس لا يرونها لأنهم لا يكشفونها»[1].

يتجه جبرئيل مارسيل إلى هؤلاء اللذين انقلب سلم القيم لديهم ، مع اعترافه بعلاقة هذا الانقلاب بالوضعية الدرامية، التي يرتبط فيها العالم بالتجربة الشخصية الحميمية والتي قد تفتح الطريق إلى مثل هذه الحالة. فيدعو إلى الحوار معهم وبمنهج سقراطي يبدأ في إحدى محاضراته بتحليل تصور غير المؤمنين للإيمان، فيجد أن بعضهم يراه مفرغا من المعنى والبعض يراه لا يفهم معناه والبعض الآخر يعده ضعفا وسذاجة وهذا ما يحط من قيمة الدين، وغير هؤلاء من يراه حسن حظ لصاحبه لم ينله هو، فينشغل مارسيل بتحديد الأسباب النفسية للإلحاد.

فالملحد الذي يتأسف على عدم قدرته على الإيمان، يفتخر في الوقت ذاته بالعلو، حتى لو أنه يقر بالمعارضة المؤلمة ولكنه في عمقه يحتقر ما يدعي أنه يجسد المؤمن عليه في استهزاء. ويرى مارسيل أن هذه الحالة في جوهرها لا تختلف عن حالة الذي ينظر إلى الإيمان كمجرد ضعف، مثلما يذهب إلى ذلك نيتشه في المعرفة المرحة. ويمكن أن يعد البعض الإيمان كخصوصية رائعة تقارن بحالة الحساسية للموسيقى لم تنكشف له للأسف. وهنا يشبه مارسيل حديث غير المؤمنين عن الإيمان، بحديث الأعمى عن النور ويعترف أنه شخصيا عاش هذه الحالة ولكن الإيمان ليس موضوعا للرأي، أي حالة الإيمان بإيمان الآخرين ويؤكد أنه دون إيماننا لا يمكن أن نؤمن بإيمان غيرنا، مع اعترافه بأن حالة الاعتراف هذه هي حالة تفتح وانتظار للإيمان، بل إنها قد تتضمنه كما يقول مارسيل[2].

وردا على القول بأن الإيمان سذاجة يقول مارسيل أن الإيمان بطبيعته يتعارض مع وجهة النظر هذه، لأنه فضيلة وقد اعتبره توماس الإكويني من الفضائل اللاهوتية، مثل الرجاء والتي يتجاوز بها الفضائل العقلية الأرسطية. فهذه الأخيرة تكتسب بالعادة عند أرسطوAristote (323- 384) أما الأولى منها، أي الفضائل غير العقلية عند القديس **توماس الإكويني** * saint thomas (1274 – 1274)

---

[1] Marcel Proust, le temps retrouvé, Paris : Gallimard, 1954, p. 257-258.

[2] Gabriel Marcel, Etre et avoir (op.cit) p. 144.

* توماس الإكويني: لاهوتي إيطالي تمثل خلاصته اللاهوتية- أهم أعماله- نوع من محاولة التركيب بين تصورات أرسطو السائدة، والمعتقدات الإيمانية المسيحية. واصل منهج التركيب العقلي الأغسطيني لإقامة بنية للفلسفة تجعلها تخدم الإيمان. مثل أرسطو أراد الاستدلال على اللاتناهي من خلال التناهي وعلى اللامرئي لان العقل قادر على إدراك وجود الله من إنتاجاته في الطبيعة.

ISSN: 1112-4938, EISSN: 2600-6456

(1225 فهي هبة إلهية ومادام الإيمان فضيلة فإنه قوة والسذاجة ضعف، ومن غير المنطقي أن تعرف القوة بالضعف. لكن غير المؤمنين ينظرون إلى فضيلة التواضع التي تميز المؤمن كإذلال وخضوع وإلى الصلاة والرجاء كعمى إرادي كما يقول نيتشه. لكن الشعور بالمقدس وبالضعف عند مارسيل لا هو وليد الخوف كما تحدثت الوضعية ولا هو شعور بالتبعية المطلقة كأساس للتدين كما يرى **شلاير ماخر** ** schleiermacher (1768-1834) بل هو شعور في آن واحد بالاحترام والخشية والحب، وهذه المشاعر ليست مشاعر سلبية، يفر منها الإنسان ليجد ملاذه في التدين، بل اعتراف وشهادة وجدانية حرة فوق هذه الحياة الخاضعة للحتمية أي الحياة الميتا-مشكلة، الحياة الروحية التي يحياها المتدين والتي يقول عنها مارسيل انه حينما يحيا الإنسان الحياة الدينية يشعر أنه يحيا لأول مرة[1].

فمن الخطأ الادعاء بأن المسألة الدينية قد فقدت صلاحيتها لان المعطى الديني وجداني وبحكم طبيعته فإنه لا يتعرض للفساد كما تفسد المواد القديمة التي مرت الفترة المحددة لتناولها فتصير غير صالحة للاستهلاك ومثل ماكس شلر يؤكد جبرئيل مارسيل على البعد النفسي للإلحاد. فغير المؤمن في كثير من الأحيان ينظر إلى نفسه مقارنة مع المؤمن وكأنه لا يملك شيئا المؤمن يملكه لا لأنه لا يستطيع امتلاكه، بل لأنه لا يريد امتلاكه[2].

هذا الرفض لا يجد مبرره الكافي في الوقائع الدرامية -حسب مارسيل- بل إن إيمانه هو شخصيا قد نشأ في أكثر الظروف درامية وفي حالة اهتزاز وعدم توازن داخلي لا نظير له. أما عن تحديد علة الإلحاد فيفضل مارسيل العودة إلى ماكس شلر في كتابه إنسان الاستياء، والذي يرد فيه رفض الإيمان إلى اعتبار القيم الكلية وحدها هي القيم الحقيقية كما فعل لودونتيك مثلا في ماديته. ويرى ماكس شلر في ذلك مجرد حقد عميق من منكر القيم الدينية. وردا منه على المواقف المادية والنزعات الوضعية في قلبها لترتيب القيم، يرجع هذا الإنكار لأسباب لاشعورية تتحرك عندما لا يريد الإنسان إلا ما هو من مصلحته، ويرضي أنانيته[3].

** شلاير ماخر: لاهوتي بروتستانتي و فيلسوف ألماني عرف بترجماته لأفلاطون،و بنظريته في فلسفة الدين التي يربطها بالحدس و تفوق كل وثوقية أو كل اتجاه أخلاقي.

[1] Gabriel Marcel, Etre et avoir (op.cit) P. 154.

[2] Gabriel Marcel, Etre et avoir (op.cit), p-148.149.

[3] Max Scheler, L'homme du ressentiment, Paris : Gallimard, 1970, p.261.

ويمارس هذا الإنسان - بدافع الضغينة، والحسد، والكراهية، والغيرة، والرغبة في الانتقام- أخطاء ضد القيم وأحكامها فيتمسك بالدنيا منها ويترك الأسمى تتلاشى . وكل هذا من إملاء الاستياء[1] مثلما يفعل النيتشوي.

ويرى **نيكولا برديف*** Nicolas berdiav (1874- 1948) أنه من وجهة النظر الروحية طموح الإنسان النيتشوي، لا يمكن أن يتحقق بقيمه الذاتية ولن يبلغ الأعالي المثيرة للدوار دون تدخل جهد فوق بشري[2].

خاتمة

ارتبطت مسألة الاحتجاج ضد الصمت الإلهي، أو ضد الاحتجاب الغياب أو الموت بمشاهد المعاناة بمختلف أنواعها وأسبابها كالكوارث والحروب والآفات المتنوعة، وهو الذي يدفع الفلاسفة إلى إثبات أو إنكار العناية الإلهية.

وتؤكد سيمون فايل أن الشعور بالغياب الإلهي لا يعرفه من لم يعش حضوره وأن غياب الله هو نمط من الحضور الإلهي، إنه حضور الله في المحن ويقول المسيحيون انه قد عاناه المسيح وهو على الصليب، حيث اشتكى الشعور بالترك للأب السماوي. فالروح الكاملة(ابن الله) رغم كمالها اشتكت التعاسة الكاملة. ولكنها معاناة تطهيرية، فلأجل الخلاص يحضر الله مع حضور المعاناة. وكان إليه فيزال بدوره قد نفى غياب الإيمان عنه لحظة رغم سخطه على عدالة الله وصمته لكن غضبه كما يقول كان ينبع من داخل الإيمان وليس من خارجه، مؤكدا أن منظري "موت الله" يتعسفون في العودة إلى عباراته لتبرير رفض تعاليم التوراة ويضيف أنه إذا كان نيتشه قد استطاع أن يصرخ " لقد مات الله" فإن اليهودي الذي بداخله أي كونه مؤمنا يهوديا لا يستطيع أن يفعل ذلك فالإيمان يمنع مثل هذا الإعلان، وهذا شان حالة الإيمان عند كل محنة وجودية يعانيها المؤمن.

ومن هنا فإن طرح الفيلسوف الوجودي الفرنسي جبرئيل مارسيل لمسألة حضور الله يختلف

---

[1] Max Scheler, Nature et forme de la sympathie, Paris : Payot, 1971, p.262.

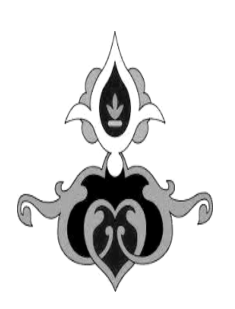
* نيكولاي برديف: فيلسوف مسيحي روسي كان ماركسيا في شبابه واعتنق الأرثوذوكسية في 26 من عمره ، ولكن وجهة نظره للدين والإيمان جد الشخصية وللمذهب الأرثوذوكسي أبعدته عن الكنيسة.إنه ذو نظرة صوفية واللحظة الدينية المنظمة ليست إلا ثانوية لأنه آمن بروحانية كلية.

[2] Nicolaï Berdiaev, dialectique existentielle du divin et de l'humain, édition 6 , Paris : J.B janin, 1947, P. 221.

كليا عن الطرح النيتشوي لموته. وعن الطرح البابري لمسالة كسوف الله . فإعلان موت الله ليس وصولا بل عجزا عن مواصلة الطريق إلى الله، إلى الأنت المطلق الذي لا ينفصل التواصل معه عن التواصل مع موجودات متجسدة تعاني أسبابا عينية تحول دون الوصول واستشعار الحضور الإلهي بعيدا عن الرأي وعن التحقيق في وجود الله.

إن مرد رفض الشهادة أو الاعتراف بوجود الله أسبابه عينية كما أن الطريق إلى الله تنمو فيه العقبات أمام الإيمان.إنها محن يمر بها الإيمان واقعيا لكن المؤمن يجب أن يعمل كحامل لنور يستضيء به من هم على الطريق إلى ومن بينهم الملحدين.

وبهذا يبتعد مارسيل حتى عن القول بالكسوف البابري، ليقول بالحضور الإلهي السر المطلق، غير القابل للتحقيق أو التعقل. فليس الإلحاد عند مارسيل أو الرفض هو آخر ما تتوصل إليه التجربة، بل إن الشعور بالاكتفاء هو العائق الأكبر أمام مواصلة الطريق نحو الإيمان. وليس وجود الشر في العالم أو المعاناة مبررا للقول بالموت أو الكسوف لأن العلة هي الهوى الشخصي، إن الرافض على الطريق مثل المؤمن السالك دوما نحو النور بإيمانه ينير الطريق لمن لا يزالون وراءه، لأن طريق الإيمان شاق ومليئ بالعثرات وتنمو فيه العقبات مثلما تنمو الأشجار في الغابات العجيبة كما يقول مارسيل وهذا المؤمن هو الذي بنوره يطبق ما يريده مارسيل أن يكون عليه المؤمن كمبدأ وهو " الله يحيا من خلالي لأجلك " كما يدعو إلى ذلك في محاضراته باليابان حينما تناول مسألة العلاقة بين فلسفة الدين والأديان القائمة.



The Declaration of the "Death of God" between the readings of Martin Baber and Gabriel Marcel

By: Laib khemissa
University of Batna1-Algeria & University – Oum El bouaghi.



Abstract:

The perspective of the existential philosopher Gabriel Marcel on the presence of god is entirely different from that implied by the announcement of the "death of god" Nietzschean. Considered the ultimate or final stage of the investigation of god, Marcel atheism is an evil that has its roots in the concrete and dramatic life of incarnate beings, and it is by refusal or inability to follow the existential path of faith (a path full of obstacles and trials to be overcome by hope, love and fidelity) that the atheist refuses god.

Man for Marcel is in the being and at the same time on the way. Communication with the absolute self is inseparable from communication with embodied beings who concretely suffer the dramatic causes of their atheism; the believer is invited to become the light that must guide unbelievers on the path of faith. It is by his refusal of Cartesian or Aristotelian verification that Gabriel Marcel departs not only from Nietzsche, but also from Martin Buber's theory of the eclipse of God .

Key words: Death of God, Eclipse of God, The presence of God, atheism, Faith.

